المباقل المحمولة

بقلم : كوركيس عواد

نقل البقول الطرية في ترابها من موطن الى آخر ، أمرٌ مألوف في عصرنا ، نظراً الى ما توصل اليه البشر من التحسين والتفنن في أساليب الزراعة والاستنبات . أما نقلها في الأزمنة القديمة فقد كان عملاً حربيًّا بالاعتبار جديراً بالتقدير ، خاصة إذا أريد نقلها الى مسافات بعيدة ، كالذي رواه هلال بن المحسن الصابيء ، في عرض كلامه على سرعة النقل من بلد الى بلد في العهد العباسيّ ، بقوله إن الطليون [1] وكان يحمل الى المعتصم [2] بالله صلوات الله عليه ، من دمشق في المراكن [3] الرصاص ، فتصل في اليوم السادس .» [4]

«وشبيه بذلك ما رواه الثعالبي من أن جيلة بنت ناصر الدولة الحمداني ، لما حجّت سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦ م) حجتها التي ذاع خبرها في التاريخ ، واشتهرت كثيراً عما اظهرته فيها من الإسراف والبذخ «كانت أستصحبت البقول المزروعة في مَرَاكن المخزف على الجمال .» [5]

ومثل ذلك ما قاله ابن كثير في حوادث سنة ٦٠٤ للهجرة (١٢٠٧ م) من ان الصدر جهان البخاري الحنفي لما خرج الى الحجّ في تلك السنة «ضيّق على الناس في المياه والميرة ، فمات بسبب ذلك سنة آلاف من حجيج العراق ، وكان فيما ذكروا بأمر غلمانه فتسبق الى المناهل ،

---

(١) الطليون : نبت طبي ذو رائحة كريهة . ذكرها داؤد الانطاكي في تذكرته الطبية

(٢) ابن العماد ، الشذرات ١ : ٢١٨ — ٢٣٧ ، ٣٣٥ — ٣٤٣ — ٨٤٢ ، وهو ابو احمد المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٩٣ وتوفي سنة ٢٢٧ هـ

(٣) ابن بكر ، احمد الزركي ، تاريخ الكبير ، المسمى تحفة الزمن وبستان المحاسن ، ابتدأ بخلق العالم ويختم بالامور حدثت في زمانه من اول الى آخر

(٤) رسوم دار الخلافة (مخطوط ص ١٩) ، نشرته آنسة م . بل ، بغداد ١٩٤٦

(٥) ابن الكتاب ، وصاف ، تاريخ وصاف ، بمبي ١٢٦٢ ، ص ١٦٢ ، وفيه ذكر المراكن للرومي

فيحجزون على المياه ويأخذون الماء فيرشونه حول خيمته في قيظ الحجاز، ويسقونه للبقولات التي كانت تحمل معه في ترابها »[١]

ونظير ذلك، ما حكاه المقريزي فيما صنعه كريم الدين الكبير ناظر الخاص ووكيل السلطان بمصر، حين ذهاب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى الحج سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩م)، فان كريم الدين هذا « أحضر الحولة لعمل مناقل ورياحين في أحواض من خشب تحمل على الجمال، فتصير مزروعة وتُسقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة اليه، فيها من البقل والكراث والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شيء كثير، ورتب لها الحولة لتعهدها »[٢]

وقد وقفنا في بعض كتب الزراعة القديمة على إشارة إلى ما يجب إتباعه في نقل الاشجار من مكان الى مكان دون أن تصاب بعطب أو يعتريها الجفاف. من ذلك قول قسطا بن لوقا البعلبكي الذي كان حيًّا سنة ٢٢٠ هـ(٨٣٥ م) انه يجعل ما كان منه فضبانًا في طين أو في تراب حرّ ندي قد أعدلها في أوانٍ من خزف أو من خشب، وينبغي ان تدفن هذه القضبان في ذلك الطين أو في ذلك التراب حتى لا يظهر منها شيء، ويتعاهد بالسقي لتبقى ندية مبلولة

« وما كان من الغرس من لطاف الشجر فينبغي أن يتخذ له أوانٍ من خشب وتملأ ترابًا طيبًا نديًّا، وتقلع الشجرة اللطيفة التي يراد حملها بأصولها بما اشتمل على أصلها من الطين والتراب وتغرس في تراب تلك الآنية، وتُتعاهد بالسقي الى أن تبلغ الموضع الذي يُراد قرارها فيه »[٣]

فالاحواض أو الزاكن التي كانت تتخذ لدى نقل البقول والرياحين وغيرها من المزروعات دون أن تتعرّض طراوتها للتلف، كانت تصنع من مواد مختلفة كالخزف والفخار والخشب والرصاص بغداد

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ ٣ : ٢٤٧ ؛ وانظر هذا الخبر في كتاب الجواهر الحسان في طبقات الحنفية لمحيي الدين القرشي ٢ : ٨٢ ؛ ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨ : ٣٤٧ مع تباين يسير

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ : ١٩٦ بتحقيق الدكتور زيادة

(٣) كتاب الفلاحة النبطية المنسوب الى قوثا الزراعي ، ونرجح ترجمته عن عربي ص ٧٢ المطبعة الاهلية بالقاهرة سنة ١٣٩٣ هـ